من كتاب هذا ما استوحيته من الناس

مقالة مصورة:
ومع ذلك يقال المجاملة

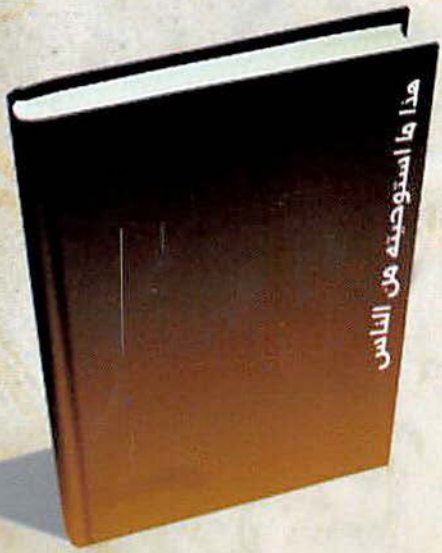

بقلم

محمد بن ناصر العبودى

دار الثلوثية للنشر والتوزيع

ومع ذلك يقال المجاملة

جلس إلى جانبي أحد الثقلاء ، وقهقه في وجهي وهو يظن أنها ابتسامة تجلو عن القلب الصدى ، وضغط على يدي بشدة وهزها هزات متتاليات ، أهتز لها كل جسمي ، وهو بذلك يريني أنني أثير لديه.

هذا ما يعتقد ولم يسعني إلا أن أغتصب ابتسامة مصطنعة أزجيها إلى بصره الكليل ليرى أنني أبادله ابتساما بابتسام ، وأشفع تلك الابتسامة بكلمة أظهرتها ما بين مظهر الجد والهزل.

وقلت فيها : إنني يا أخي ضعيف عن مجاراتك ، ما شاء الله وضحكت ، قلت ذلك لكيلا يعود مرة ثانية إلى هز يدي بمثل تلك الشدة.

ولم يَنْقَض كلامي حتى أبتدأ كلامه وهو يقهقه قهقهة الرضا ويضع فمه المنتن قريباً من وجهي ، ولا أدري ما الذي وقف في طريق الكلمات في حلقه ، فزفر زفرة كاد يتحرك لها ثوبي بعد أن عمتني جميعي ، حاول وحاولت أن أسد أنفي ، ولكنه زاد مني قرباً وجعل يواصل كلامه وكتل ريقه تتناثر من فمه كما يتناثر الشرر من الكير.

ولا أدري ما الذي حمله على أن يلصق جسمه بجسمي ، والمكان فسيح ، والوقت حار وعرقه يشع رائحة خبيثة.

وكلما أبعدت منه : عن وجهه وتباعدت عن لفحات فمه وعن رذاذ ريقه ، قرب مني وكأنه لم يعرف شيئاً مما أعانيه !.

وهذه هي حاله معي ، ومع ذلك يقال : إن المجاملة واجبة وإنها محبوبة ومشروعة ، من هو الذي يقول : إن مثل هذه الحالة وإن مثل هذا الثقيل وما أكثر مثل هذه الحالة ، وما أكثر إخوان ذلك الثقيل ، ينبغي

أن تستعمل معهم المجاملة ؟ هذا الطب ينهى عنها لأن في ذلك نقلاً للأمراض من فم ذلك الثقيل العليل إلى من أُبتلي به.

وهذه النفس والروح تأمر بالبعد عنه لأنه يعرض الروح ويكدر صفاء النفس ، وغير هذا وذاك من سائر الناس والمذاهب ينهون عنه ويحذرون منه ، وأدنى مراتب الناس وأقربهم نظراً في نظر عشاق المعنويات هم الماديون وهم يحذرون من ذلك لأنه يستهلك وقتاً كبيراً ما أحوج الإنسان إلى أن يصرفه في غيره ، فهو لا يستفيد من ذلك الوقت بل على العكس من ذلك يتضرر به ولا يفيده.

لا ، لست من أنصار المجاملة التي تؤدي إلى مثل هذا ، وليست المجاملة في مثل هذا ، فالنفس واحدة لا يمكن للإنسان إذا ما أغضبها أو أمرضها أن يستغني عنها فترة يدعها تستجم وتستعيد صحتها.

وأغراض الحياة وأهدافها في الإنسان كثيرة متنوعة والإنسان محتاج إلى جهود كثيرة ومحتاج إلى توفير كل دقيقة من زمانه ليستعملها فيما ينفعه.

على أية حال أنا لم أكتب هذه الكلمة إلا لأذكر نفسي بمثل هذه الأشياء ، لأبتعد عن أمثال ذلك الثقيل الذي يأكل الوقت أكلاً ويقتل الزمان قتلاً ويمرض نفسي إمراضاً لا تبل منه إلا بعد زمن طويل